العدد 19A1 كانون الاول 2025
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No.19A1 Dec 2025 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

نمذجة بناء النصّ عند دي بوجراند

إعداد: م. م آلاء جبار داغر

جامعة ميسان/ كلية التربية

الملخص

يسعى هذا البحث إلى استكشاف عملية بناء النصّ, وانتاجه عند دي بوجراند, مع التركيز على أهم الأساليب, والوسائل, والنماذج, المختلفة التي يمكن استخدامها لتحقيق هذه الفعالية النصية التواصلية.

الكلمات المفتاحية: النصّ, عالم النص, نماذج بناء النص, انتاج النص.

The Abstract

This research aims to explore the process of text construction and production according to De Beaugrande, with a focus on the most important methods, tools, and various models that can be used to achieve this communicative textual effectiveness

Keywords: text, text world, text construction models, text production

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه المنتجبين..

وبعد..

تُعدُّ نظرية بناء النصّ, وانتاجه, من أهم الموضوعات التي نالت عناية اللسانيين منذُ بدء الخوض في غمار الدراسات اللسانية, فكل واحد من الباحثين قدّم رؤية مختلفة عن الآخر في أطار هذا الموضوع, وفي هذا المضمار يقدم دي بوجراند رؤيته الخاصة في بناء نظرية يمكن من خلالها النظر إلى عملية بناء وانتاج النصّ على أنه غاية مهمة ممكن الوصول إليها, لا نتاجاً عشوائياً جاءت به المصادفة, فالنصّ عمل إنساني يقوم على مستويين من مستويات البناء والانتاج, فعملية البناء عملية تواصلية قائمة على ترابط المدركات العقلية, المفاهيم المكتسبة, والقالبية, فضلاً عن جوانب الحالة السلوكية والاجتماعية التي تحيط بمنتج النصّ, فكل هذه العوامل تتظافر من أجل اظهار النصّ بصورته الأخيرة, ثم تأتي مهمة انتاج النصّ وترتيبه بجمل, وعبارات نصية, متماسكة تركيبياً, وشكلياً, إذ أن بناء العبارات والمفاهيم, في النصّ عنده لا يقتصر على ترابط العبارات, وتراصفها, وتماسكها, وانسجامها, مالم تؤدِ إلى غرض معين, في أطار تواصلي, وسنحاول في هذا البحث الذي انتظم بتمهيد تناولت فيه ماهية النمذجة, ومبحثين تناولت في المبحث الأول نظرية اللغة, وكيف ارتأى اللسانيون على خطى علماء اللغة إلى تكوين نظرية لسانية خاصة بالنصّ, فضلاً عن بناء النصّ, و أهم المرتكزات التي يقوم عليها هذا البناء, أما في المبحث الثاني فتناولت فيه انتاج النصّ, وأهم النماذج التي يقوم عليها انتاج النصّ, وقد اعتمدت بشكل أساسي على كتاب دي بوجراند النصّ والخطاب والإجراء ترجمة تمام حسان.

التمهيد

مفهوم النمذجة

مما لا يدعو إلى الشك فيه هو أن كلّ علم من العلوم يمر بمرحلة تجميع المعلومات, وتبويبها, وترتيبها, بهدف تحديد موضوعاته؛ لأنه يصعب صياغة النظريات, والافتراضات التفسيرية, والتعميمات, من دون البدء بترتيب المعطيات, وإن كان بصورة أولية. ينظر: (زكريا، 1986، صفحة 115). وإن العلم في فترة من فتراته يحقق ارتباطاً كلياً بين نظرياته المختلفة؛ أي أن هذه النظريات تؤلف كلاً متماسكاً, إذ جاء في تعريف النظرية بأنها ((تفسير شامل يتناول المعطيات اللغوية ويتخطاها باتجاه تفسير التنظيم القائم ضمن هذه المعطيات وباتجاه التكهن بأن معرفة هذا التنظيم هي التي سوف تفسر كل المعطيات اللاحقة, وترتبط صحة النظرية بمقدار صحة هذا التكهن)). (زكريا، 1986، صفحة 115). وهي((مجموعة من القوانين العامة التي يرتبط أحدها بالآخر ارتباطاً متّسقاً, يعتمد بعضها على بعضٍ وهي جميعاً مُتعلقة بنوع واحد من الظواهر, وكلّ قانون في هذه النظرية أو تلك يُفسّر جانباً معيناً من تلك الظواهر, بحيث إنّ مجموعة تلك القوانين المؤلفة للنظرية تُفسّر تلك الظواهر من كل جوانبها)). (جبر، 2025، صفحة 32). وهو ما يطلق عليه النموذج, والعلماء في هذه الفترة يحذون في أبحاثهم العلمية, وفق نموذج محدد يعملون من خلاله, إلا أنه قد يأتي أحد العلماء ويضع يديه بطريقة أو بأخرى على كشف علمي هام, يخالف الآراء السائدة في النموذج العلمي المعمول به فعلاً, فتتغير نظرية العلماء السائدة, لتحل مكانها نظريات جديدة, ويبدأ العلم مسيرة أخرى, وفق أفكار وآراء جديدة, من خلال نموذج جديد مخالف للنموذج الذي ألفه العلماء. ينظر: (علوي، 2009، صفحة 58). فالفكر الإنساني سلسلة مستمرة من التساؤلات التي يثيرها الناس حول الفرضيات السابقة المكتسبة, والتي يمكن أن تستبدل بأفكار, وفرضيات جديدة أفضل, تصبح بدورها بالنسبة للأجيال المقبلة أشياء عادية, إلى أن يأتي إنسان آخر بفكرة جديدة أفضل من السابقة. ينظر: (روبنز، 1978، صفحة 87).

لابد من الإشارة أولاً إلى ماهية النموذج, والنمذجة, قبل الشروع في تفاصيل الموضوع, استخدم المصطلح في كثير من العلوم منذ مطلع العقد التاسع من القرن العشرين, وإن علم اللغة بصورة عامة وعلم النصّ بصورة خاصة استخدما هذه الكلمة في العديد من البحوث اللغوية, وهذه الكلمة لها ارتباط مباشر بمصطلح أنواع النصوص, إذ أن نوع النصّ يستنبط من نموذج النصّ, وهذا النموذج هو بمثابة الإطار العام لهذا النوع, وهو جوهر النصّ العام, إذ أن أفكار إطار نموذج النصّ مخزونة في ذاكرة الإنسان العميقة, وعلى شكل مكثف تجمعت بمرور الزمن, وإن جوانب تفسير أي نوع من أنواع النصوص وفهمه تنشأ بوساطة عمليات مستندة إلى هذه الأفكار. ينظر: (هاينمان و هاينمان، 2006، الصفحات 198-209). فالنماذج تشكل إطار الأحداث العام, وجوانب عملية الاتصال التي تمكن الأشخاص من حالات معينة من القيام بالفعل, ورد الفعل, فأن الأشخاص المتحدثين يقومون بملء هذا الإطار بالوحدات الكلامية, وهياكلها, والنماذج استناداً إلى علم النفس المعرفي تكون عبارة عن شروط عامة للفعل التفهامي المعرفي للأشخاص؛ وذلك لأن المعلومات يمكن استيعابها استناداً إلى أنموذج صياغتها, وأنموذج هيكلها. ينظر: (هاينمان و هاينمان، 2006، الصفحات 199-200).

وعملية النمذجة هي عملية إنشاء علاقات متداخلة بين العناصر الأساسية في نظام شامل, الأهداف, الإداء, المعوقات, التي تفترض بناء النظام, وعملية النمذجة عملية متكررة, ومتداخلة؛ وذلك نسبة لاستخدام أكثر من عملية في نظام معين. ينظر: (هاينمان و هاينمان، 2006، صفحة 4).

وإن أنموذج النصّ هو بالأساس وحدات لأطر معرفية, وسلسلة من العمليات لدى الأشخاص في تحقيق واجبات اتصالية (تفاهمية) بوساطة النصوص, ويتحدد أنموذج النصّ بوساطة أربعة أبعاد رئيسية هي : الوظيفة, إذ في كل نصّ وظيفة خاصة؛ ذلك لأن منتج النصّ يؤلف نصاً من أجل الوصول لهدف ما, والحالة التي اوجدت النصّ , والموضوع المحدد للنصّ, وصياغته؛ لتحقيق أهداف اتصالية محددة, وعليه يكون نموذج النصّ عبارة عن نتيجة لصياغات, وإشارات دلالية مختلفة متعلقة بالأبعاد الأربعة السالفة الذكر. ينظر:(هاينمان و هاينمان، 2006، الصفحات 202- 204). إذ ((يرتبط بناء الانموذج ببنية اللغة, وبسماتها, وبوظائفها, ولا يرتبط بالتالي بطبيعتها الفيزيائية, فيقصد بالانموذج كل تركيب يوازي الموضوع المدروس, من حيث المحتوى الوظيفي, وتختلف المادة التي يتكون منها الانموذج عن المادة التي يتكون منها الموضوع الذي نريد دراسته)). (زكريا، 1986، صفحة 117). ويرى فان دايك بأن نموذج النصّ هو ((عبارة عن هياكل وصفية متفق عليها)). (هاينمان و هاينمان، 2006، صفحة 207).

ويمكن تعريفه بأنه ((عبارة عن نموذج معرفي لصنع عموم النص)). (هاينمان و هاينمان، 2006، صفحة 208). ونموذج النصّ هو بالأحرى ((عبارة عن أفكار, أو مخططات نفسية مركبة, ومرتبطة بعموم النصّ, تقوم بوظيفة إعطاء الإطار العام لعمليات تركيب النصّ, وفهمه, أو هو عبارة عن صيغ ثابتة للتصرف الفاعل للوصول إلى هدف معلن, وإن نموذج النصّ يخدم تنظيم محتوى التصرف اللغوي وشكله استناداً إلى وظيفتة)). (هاينمان و هاينمان، 2006، صفحة 208). وقد جاء توماس كون وهو من فلاسفة العلوم المحدثين, بعبارة الأنموذج المشترك ليوضح كيف أن التفكير في موضوع معين, وخلال فترة معينة من الزمن, يتحدد عادة بأفكار تشكل فيما بينها نظاماً متماسكاً إلى حد ما, وتكون هذه الأفكار بمثابة افتراضات ضمنية تتعلق بمدى الفرضيات الممكنة التي قد تراود فكر العالم أكثر من كونها معتقدات صريحة لنظرية علمية. ينظر: (سامسون، 1996، صفحة 3).

وعليه يرى الباحث بأن نموذج النصّ هو تنظيم الأفكار وتنسيقها, لبناء النصّ وتركيبه, بصورة مثلى يمكن من خلالها تحقيق الغاية التي من أجلها وجد النصّ.

المبحث الأول

بناء نظرية النصّ عند دي بوجراند

منذ أن أصبح الفكر يميز بين مجالين للعلم, طبقاً للمادة المدروسة وهما العلوم الطبيعية, والعلوم الإنسانية, حرص اللسانيون على الوقوف إلى جانب القسم الأول, ولكن إذا كان للسانيات أن تصنف ضمن العلوم الطبيعية, وجب أن تكون اللغة نوعاً من الكيان القابل للوصف الموضوعي, شأنها في ذلك شأن بقية الأجسام الموجودة في الطبيعة. ينظر: (سامسون، 1996، صفحة 6). وقد تباينت الآراء في النظر إلى اللغة في ذلك, وامتاز فلاسفة الاغريق القدماء بنظرتهم الحذقة إلى اللغة, إذ وصفوها بدقة, وتأملوا في أصلها وتاريخها ونظامها, فيرى افلاطون أن اللغة الهام ومقدرة فطرية, في حين يرى أرسطو بأن اللغة لا يمكن أن تكون إلهاماً وموهبة إنسانية, وإنما هي تواضع واتفاق عليها. ينظر: (الطائي، 2009، صفحة 203).

أما علماء اللغة فمنهم من رأى أنها أحدى الموجودات الحية, وبذلك تنطبق عليها صفات الكائن الحي, فقد عرّف الألماني شلايخر من علماء اللغة الذين ساهموا وطوروا كثيراً في مجال أبحاث المنهج المقارن إذ يقول: ((إن اللغات كائنات طبيعية, وهي, بغض النظر عن الإرادة الإنسانية, وتبعاً لقوانين محددة, تولد وتنمو وتتطور وتشيخ وتموت؛ وإذن, فهي تجلي سلسلة الظواهر هاته التي تطلق عليها عادة اسم حياة)).

(بافو و رفاتي، 2012، صفحة 37). إلا أن هناك من رأى عد اللغة كائن حي شيء يدعو للسخرية, وهو عالم اللغة دي سوسير الذي أحدث ثورة عارمة في علم اللغة غيرت مسار البحث اللغوي من التاريخي إلى التزامني العلمي إذ يرى سوسير اللغة على أنها ((جزء محدد من اللسان, مع أنه جزء جوهري, فاللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد افراده على ممارسة هذه الملكة)). (سوسور، علم اللغة العام، 1985، صفحة 27) وينظر: (روبنز، 1978، صفحة 40). فنظرة سوسير إلى اللغة نظرة عقلية فضلاً عن أنها ظاهرة اجتماعية, فقد تأثر في ذلك بعالم الاجتماع دوركلهايم. فاللغة نشاط يقوم به الإنسان ويتميز في ذلك عن غيره من الكائنات الحية, إذ يقول أوتو يسبرسن: ((إن اللغة ليست في حقيقتها سوى نشاط إنساني يتمثل من جانب في مجهود عضلي يقوم به فرد من الأفراد, ومن جانب آخر يتمثل في عملية ادراكية ينفعل بها فرداً أو أفراد آخرون)). (الطائي، 2009، صفحة 198).

وقد وضع ديكارت أربع مبادئ تكون بمثابة النظرية العلمية التي يمكن تطبيقها على كلِّ العلوم النظرية, فهو يسعى إلى وضع منهج واحد أو نظرية واحدة يمكن تطبيقها على كل العلوم قدر المستطاع, فهو يرى بأن أكثر العلوم تمتاز بالثبات واليقين من العلوم التي درسها علوم الرياضيات, ويرى بأن لو سار الباحثون في العلوم الأخر على أثر الرياضيون في الوصول إلى براهينهم , لبلغت العلوم درجة من الاستقرار في استخلاص النتائج. ينظر:(ديكارت، 1985، صفحة 137).

وهذه المبادئ هي: الأول ويسمى مبدأ اليقين وهو: ألا أقبل شيئاً على أنه حق مالم أعرف يقيناً أنه كذلك, والمبدأ الثاني: الذي يسمى مبدأ التحليل وهو: تقسيم المعضلة التي تدرس إلى أجزاء بسيطة على قدر ما تدعو الحاجة إلى حلها على خير االوجوه, ويقول ديكارت حول هذا المبدأ أو القاعدة الثانية : ينحصر المنهج باجمعه في أن نرتب وننظم الأشياء التي ينبغي توجيه العقل إليها لاستكشاف بعض الحقائق. والمبدأ الثالث : الذي يسمى مبدأ التأليف أو التركيب وهو: إن أسير أفكاري بنظام, بادئاً بأبسط الأمور وأسهلها معرفة كي اتدرج قليلاً حتى أصل إلى معرفة أكثرها تركيباً, بل وأن أفرض ترتيباً بين الأمور التي لا يسبق بعضها الآخر بالطبع. والمبدأ الرابع والأخير وهو ما يسمى بالاستقراء التام: وهو أن أعمل في كل الأحوال من الاحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة ما يجعلني على ثقة من أني لم أغفل شيئاً. ينظر: (ديكارت، 1985، الصفحات 142-145).

ويرى أحد الباحثين وهو بار هيلل الذي طور مشروع كارناب حول التركيب المنطقي للغة, بأن تركيب اللغة يجد نموذجه الأسمى في المنطق الرياضي على مستويي المحمولات والروابط القضوية, فيقوم البناء اللغوي على نسقين من القواعد, قواعد تكوين (تولد القضايا السليمة تركيبياً), وقواعد تحويل (تضبط علاقات الاستنتاج والاستنباط بين القضايا), ويعد بارهيلل هذا النسق الثاني اساس معالجة تضمن ربط القضايا الدلالية, مثل قضايا التركيب بالاستعمال النسقي لرموز المنطق الرياضي واجراءاته الصورية, إذ يجب أن تحذو اللسانيات حذو الفيزياء وتتعامل مع المنطق بنفس الكيفية, أي تبعاً لموقف منهجي يتعلق ببناء النظرية فما يمكن اخضاعه للصياغة المنطقية الرياضية هي النظريات اللسانية وليس اللغة. ينظر: (غاليم، 2007، الصفحات 40-42).

ومن اللسانيين الذين سعوا إلى وضع نظرية لسانية رياضية قائمة على المنطق الرياضي هو لويس هليمسلف الذي يعدُّ أول من حاول وضع نظرية للغة, إذ يرى بأنها ((اداة يشكل الإنسان بها تفكيره وإحساسه, ومزاجه, وتطلعاته, وإرادته, وأفعاله, هي الاداة التي بواسطتها يؤثر ويتأثر, إنها الأساس الأخير

والأعمق للمجتمع الإنساني)). (هليمسلاف، 2018، صفحة 11). ويرى بأن التناول العلمي للغة بأنها سلسة من الأصوات, والحركات التعبيرية, تقبل الوصف الفيزيائي, والفيزيولوجي الدقيقين, وتنتظم كعلامات لظاهرة الوعي, وكان البحث فيها أي (اللغة) قائم على التأويلات السيكولوجية والمنطقية, عن تدفق النفس البشرية, وعن ثبات التفكير البشري, في مقابل الحياة المتقلبة والمتغيرة للغة. ينظر: (هليمسلاف، 2018، صفحة 12). فالنظرية اللسانية عنده تتم بوساطة نسق خالص من المقدمات الصورية, وهي تأخذ بالحسبان تقلبات الكلام وتغيراته, وترفض منح الدور الأهم لهذه التقلبات والتغييرات, وعليها أن تبحث عن الثبات الذي لا يكون متجذراً في واقع موجود خارج اللغة, وكذا مبدأ التجريبية القائم على الشمولية, و الثبات الذي يجعل من اللغة لغة, أياً كانت تلك اللغة, ويجعل كل لغة بعينها مطابقة لذاتها في جميع تمظهراتها المختلفة. ينظر: (هليمسلاف، 2018، صفحة 17). وصفتها كما يشير إلى ذلك امبريقية (تجريبية) بفعل خاصية الملائمة, ونظرية حسابية بفضل الخاصية الاعتباطية, وهي تبنى على عدة مبادئ منها مبدأ البساطة, إذ يقول: ((تحقق النظرية شكلها الأبسط عندما لا تعتمد في بنائها إلا على المقدمات الضرورية التي يتطلبها موضوعها. وإلى جانب ذلك, ولكي تبقى وفية لهدفها, يتوجب عليها أن تقود في تطبيقاتها إلى نتائج موافقة لمعطيات التجربة الحقيقية والتي نعتبرها كذلك)). (هليمسلاف، 2018، صفحة 20) فضلاً عن مبادئ أخرى لهذه النظرية القائمة على المبدأ الذي اطلق عليه (التجريبي) إذ يقول: ((يجب على الوصف أن يكون خالياً من التناقض (متسقا مع ذاته), شاملاً وفي أبسط ما يمكن. ويكون لشرط عدم التناقض الأسبقية على شرط الشمول, ولشرط الشمول الأسبقية على شرط البساطة)). (هليمسلاف، 2018، صفحة 20). ويشتق من هذا المبدأ أي مبدأ البساطة مبدأين آخرين هما مبدأ الاقتصاد ومبدأ الاختزال. ينظر: (هليمسلاف، 2018، صفحة 73) وينظر: (جبر، 2025، صفحة 108) فضلاً عن كون نظريته شكلية تهتم بالأشكال والمباني على حساب الجوهر وقد تأثر في هذا الجانب بدي سوسير. ينظر:(يونس، 2004، صفحة 68).

وعند دي بوجراند ((إن اللغة في أولى صورها حالة من حالات التجلي بمعنى أنها واقعة أو مجموعة من الوقائع التي تعرف بوساطة الوعي الاستبطاني فالنواحي التي تقع تحت الملاحظة تتفاعل مع التي لا تقع تحتها بطرق متداخلة متنوعة)). (بوجراند، 1998، صفحة 74).

ويرى دي بوجراند إن اللغة الإنسانية على درجة من التركيب في نظامها والاختلاف في تجلياتها ما يجعل علم اللسانيات دائم التطور, فاللغوي يواجه وفرة من المادة اللغوية بين ما يدرك بالملاحظة من التخاطب المباشر, وبين العويص من التأملات الرياضية, والفلسفية, في اللغة, وإن ما وقع التركيز عليه هو عناصر اللغة التي يمكن الوصول إليها بالملاحظة, كالأصوات, والصيغ, وترتيب عناصر النطق, أما تناول النواحي التي لا يمكن الوصول إليها بالملاحظة كمرتكزات الاتصال, والعوامل النفسية, فقد كان تناولوه حدسياً غير شكلاني. ينظر: (بوجراند، 1998، صفحة 76). ((والحدس اللغوي هو جزء من كفاية الإنسان اللغوية, أي جزء من معرفته الضمنية بقواعد اللغة)). (زكريا، 1986، صفحة 38).

ويعني الاعتماد على الحدس أن يأتي اللغوي بالجمل التوضيحية التي هي بحسب الحدس مطابقة أو غير مطابقة للقواعد, مضحياً هكذا بالتعميم والموضوعية. ينظر: (بوجراند، 1998، صفحة 80).

وقد اضطرت اللسانيات في مراحلها الأولى أن تكون انتقائية, واختزالية في نظرتها إلى حد بعيد. ينظر: (بوجراند، 1998، صفحة 72) فقد أهتم اصحاب النحو التوليدي بصورة أساسية بذكاء القارئ والمبادئ والآليات التي تحشد لأجل تحصيل المعرفة الكاملة باللغة. (تشومسكي، 1993، صفحة 59). أما اصحاب المدرسة السلوكية الذين حصروا اللغة بالفونيمات والمورفيمات, متجاهلين بذلك المعنى والتركيب.

ينظر:(تشومسكي، 1993، صفحة 75). ويرى دي بوجراند أن الأهم والأولى في الاهتمام هو أن يحظى مفهوم المقدرة بنظرة أكثر اتساعاً بالتكاملية مما يجري في العادة في قواعد الجملة, ومفهوم المقدرة كما حدّها تشومسكي هي ((قدرة المتكلم – المستمع المثالي على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني, في تناسق وثيق مع قواعد لغته)). (زكريا، 1986، صفحة 32). فهو غاية نظرية النصّ فعلينا أن نبحث في تحديد القدرات التي تجعل الناس في العادة من اصحاب المقدرة على إنتاج النصوص وفهمها بنجاح دائم وهذا النوع من نظرية النصّ سيكون ذا طابع ذهني في معناه الأساسي وصالحاً من الناحية العملية للتصديق والتكذيب. ينظر: (بوجراند، 1998، صفحة 95). إذ ينبغي ايجاد تراكيب وشواهد يمكن أن تقبل قبولاً حسناً من حيث هي اجراءات لا من حيث كونها تصميمات متخذة من مصدر غير معلوم, وينبغي أن ينم الشاهد عن كيف تنبني هذه العناصر المذكورة وكيف تضبط وكيف يتاح الوصول إليها. ينظر: (بوجراند، 1998، صفحة 96) .

والأساس في النظرية أن تكون متكاملة, تشمل كل الجوانب التي تسهم في بناء النصّ, وانتاجه, وهو ما يمكن أن يطلق عليه بمصطلح التعالق. ينظر:(خمري، 2007، صفحة 37), التي حددها دي بوجراند في معاييره السبعة التي تحقق النصية. إذ يرى أن العمل الأهم للسانيات النصّ ((دراسة مفهوم النصية, من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات الاتصالية المتخذة من أجل استعمال النصّ)) (بوجراند، 1998، صفحة 95).

ويستخدم دي بوجراند فكرة التنظيم أو النظم, فهو الأساس في التناول العلمي لمادة البحث, ويعني ذلك فرض نظام ما على المادة التي نحصل عليها, ويُعدُّ النظام وحدة قوامها العناصر ذات العلاقة المشتركة التي تتحدد وظائفها بوساطة مساهماتها الخاصة في أداء المجموع لوظيفته. ينظر:(بوجراند، 1998، صفحة 73). فالنصّ كما يرى دي بوجراند ((نظاماً فعالاً, أي تجمعاً من الوظائف يوجد من خلال عمليات قوامها الحكم والانتقاء اللذين يكونان بين عناصر النظام الافتراضي. ولهذا يمكن لإنشاء النصّ أن يوصف بأنه تفعيل وهذه السمة من سمات الورود, هي المعيار الجوهري للتعرف على النصّ بهذا الوصف ويتبع ذلك أن النصّ ليس مجرد منزلة مختلفة عن منزلة الجملة على الرغم من آراء بعض الباحثين. وقد يكون النصّ أكثر من كلمة واحدة, وقد يتألف من عناصر ليس لها ما للجملة من الشروط مثلاً علامات الطرق, الإعلان, البرقيات, ونحوها..)). (بوجراند، 1998، صفحة 97). ((والغاية الرئيسة للنظام هي ثبات الحالات والعمليات)). (بوجراند، 1998، صفحة 98).

النصّ:

تباينت آراء اللسانيين في تحديد مفهوم النصّ, إذ تعددت وجهات النظر في ذلك واقتصرنا في هذا البحث في تناول وجهة نظر أحد أهم اللسانيين الذي كان له الأثر الأكبر في تحديد ماهية النصّ ووضع المعايير التي اعتبرها الحد الفاصل في معرفة النصّ واللانصّ.

إذ يشير دي بوجراند إلى أن النصّ عملية قائمة على الاتصال في سياق معين, إذ يوجه أهمية كبيرة إلى جانبين مهمين ربما اهملا في الدراسات السالفة وهما سياق الموقف والاتصال. فربما يكون النصّ متماسك ومنسجم إلا أنه لا يؤدي إلى غرض معين ولا يساعد على عملية الاتصال, إذ تساعد هذه الوسائل في الكشف عن ما هية النصّ وكلها ضرورية في توجيه النصّ والحكم عليه, إذ يرى دي بوجران بأن الصفة المميزة للنصّ هي ((وقوعه في الاتصال)). (بوجراند، 1998، صفحة 72). فهو ((تجل لعمل إنساني ينوي

به شخص أن ينتج نصاً ويوجه السامعين به إلى أن يبنوا عليه علاقات من أنواع مختلفة.)). (بوجراند، 1998، صفحة 92).

فالنصّ عنده لا يقوم على مجرد تجاوز الجملة , فهو قد يكون كلمة واحدة, أو اشارة واحدة, فهو وحدة قائمة على الاتصال, وما دام كذلك فهو يستدعي مشاركين في عملية الاتصال, سواء اكتملت عملية الاتصال بوجود متلقي ومستقبل أو أحد طرفا الاتصال, وهذا الاتصال يتأثر بالظروف والعوامل المحيطة بالمشاركين بعملية الاتصال, منها عوامل اجتماعية ونفسية تتعلق بالمشاركين خاصة, وأيضاً الأسباب والعوامل التي أدت إلى عملية الاتصال, فالنصوص ليست مجرد تراكيب متماسكة ومنسجمة مالم تؤدِ إلى غرض ونتيجة معينة, انبنت في ذهن المشاركين في عملية الاتصال, كما سنتعرف على ذلك من خلال عملية بناء عالم النصّ.

ولا بد من الإشارة إلى أن دي بوجراند من اللسانيين الذين وضعوا حدوداً فاصلة بين النصّ والخطاب, وهو ما يشير إليه عنوان كتابه النصّ والخطاب والإجراء, إذ يرى مستعيناً بتعريف فان دايك بأنه ((يمكن لمجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أن تعد خطاباً أي توالياً للوقائع الاستعمالية)). (بوجراند، 1998، صفحة 72).

عالم النصّ:

هناك مظهر آخر من مظاهر ترابط النصّ يسميه فان دايك الترتيب العادي للوقائع, ذلك أن ورود الأحداث والوقائع في متتالية معينة يخضع لترتيب عادي تحكمه مبادئ مختلفة على رأسها معرفتنا بالعالم. ينظر: (خطابي، 2006، صفحة 38). وينظر (البطاشي، 2013، صفحة 157) ويرى دي بوجراند أن عالم النصّ هو الموازي الإدراكي في فكر مستعمل اللغة لشكل المفاهيم المنشطة فيما يتعلق بالنصّ. ويؤدي النصّ الغرض منه بوساطة تنشيط المفاهيم والعلاقات التي يُعبر عنها بالعبارات ويرى دي بوجراند بأن هناك ثلاث عمليات ذهنية تساعد في اتمام هذه العملية العقلية وهي: التنشيط الموسع, والاستدلال, والتحديث, إذ تؤدي هذه العمليات الثلاث إلى تعديلات جوهرية في هذه المادة الأساسية. ويمكن للتفاعل بين المعلومات التي قدّمها النصّ والمعلومات التي سبق اختزانها أن يتم تصويره بصورة ربط اجرائي اتصالي, أي أن مخزون المعلومات الحالية النشطة يخصص ما يحدث ويضبطه, ليبنى عالماً نصياً للوصول بدرجة مقبولة إلى كفاءة العمليات. ينظر: (بوجراند، 1998، صفحة 201).

ويفرق دي بوجراند بين نوعين من المعلومات وهي المعلومات التقريرية التي تكون على هيأة عبارات قالبية موجودة في ذهن المتلقي يمكن استعمالها بطرائق كثيرة مختلفة, وقد تكون غير متوقعة. أما المعلومات الإجرائية فهي على العكس من ذلك توضع في هيأة نماذج مصممة على أساس إجرائها بصفة خاصة في طرائق متوقعة, أي أنها معلومات طارئة استدعاها الموقف الذي مرّ به المتلقي. وهكذا تكون المعلومات الإجرائية أكثر حيوية في تطبيقاتها غير أن استعمالاتها الفعلية أقل كفاءة. ينظر: (بوجراند، 1998، صفحة 180).

إن المفردات أو العبارات المكونة من الكلمات إنما هي تراكيب أي اسماء سطحية للدلالة على مفاهيم وعلاقات تحتية واستعمال العبارات في الاتصال ينشط هذه المفاهيم والعلاقات بمعنى أنه يدخل محتواها في المخزون العقلي النشط. والانتقال بين العبارات ومحتوياتها أمر من أمور التخطيط . وربما يكون لمفهوم ما عدة أسماء مترادفة إلى حد ما تبعاً لما تنشطه هذه الأسماء من جوهر مفهومي أو علاقي. ومع أن الترادف

نادر من وجهة نظر النظام الافتراضي للمعجم نجده شائعاً في النظم الفعالة للعوالم النصية, إذ يهيمن تفاعل المفاهيم على ما جرى تنشيطه من جوهرها. ينظر: (بوجراند، 1998، صفحة 182).

إذ لا توجد مفردة أو عبارة خالية من معنى أو حدث ما, فكل ما نسمعه أو نعبر عنه يرتبط بحادثة معينة أو معنى معين.

فالترابط المفهومي أي الانسجام المعنوي بصفة عامة أعمق من الترابط الشكلي الرصفي والترابط التخطيطي أعمق من الترابط المفهومي. ينظر: (بوجراند، 1998، صفحة 183).

((ولكل مساحة معلومية مثل عالم النصّ تضاريس للبيانات يمكن للناس أن يستعرضوها في صورة مدرك كلي, أو يتوغلوا فيها عقلياً عند أداء عمليات مثل أدماج معلومة جديدة, أو بحث المعلومة المختزنة, أو الحكم على إحالات مشتركة, والمحافظة على الالتحاق. وكلما كانت التضاريس أكثر تعقيداً كان الزمن المطلوب أطول من أجل انتقاء النقطة المناسبة للإضافة أو التعديل)). (بوجراند، 1998، صفحة 186).

ويستدعي اكتساب المعلومات واختزانها واستخدامها في التعبير تفاعلاً متناغماً بين الذاكرة الوقائعية والذاكرة المفهومية, ودي بوجراند يفضل مصطلح الذكرة المفهومية على مصطلح الذاكرة الدلالية, وتشتمل الذاكرة الوقائعية على مخزون الوقائع المحددة في تجربة الشخص (ما حدث لي) أما الذاكرة المفهومية فتشتمل على المعلومات المنظمة (ما أعرفه عن العالم وكيفية اتصاف بعضه مع بعض) وحينما يواجه الشخص هيئة مركبة لتصبح دخلاً تستحضر المحتويات الوقائعية والمفهومية معاً أو أحدهما فقط إلى الاختزان النشط ويوفق بعضها مع بعض, ويختلف تغلب احدى الذاكرتين على الأخرى تبعاً لمألوف دخل التجربة والخبرة واختزانهما. ينظر: (بوجراند، 1998، صفحة 191).

مرتكزات بناء النصّ عند دي بوجراند:

إن بناء نموذج النصّ قائم على ترابط المعلومات وتماسكها في الذاكرة الإنسانية التي تمثل عالم النصّ, وهذه المعلومات تحتكمها عدة علاقات منها علاقة العموم والخصوص أو السبب والنتيجة, أو الكل والجزء وغيرها من العلاقات الدلالية, وإن جوهر هندسة الذهن الوظيفية قائم على تصنيف الأجزاء واستقلالها بتخصصاتها, أي على ملكات (أنساق أو قوالب) معرفية متمايزة, تمتلك كل واحدة منها بنيتها الخاصة, ومبادئها النوعية, وليس على مبادئ أحادية, أو موحدة, للتعلم و التلاؤم, والتمثل والتجرد, والاستقراء والاستراتيجيات المعرفية المختلفة, إذ تنطبق هذه المعارف على أحداث مختلفة لإنتاج معرفتنا بسلوك الأشياء في الفضاء المحيط بنا, وبالمعنى الذي تملكه, أو لا تملكه بعض المتواليات من الكلمات. ينظر: (غاليم، 2007، صفحة 21). أما أهم المرتكزات التي يقوم عليها بناء النص عند دي بوجراند,_إذ يرى بأن النصّ يبنى على نوعين من المفاهيم الأساسية والثانوية, ولكل مفهوم منها مركز ضبط بمعنى أنه لكل حادثة كلمة مفتاحية تعدُّ في مساحة معلومات ينتظم حولها أكثر المكونات التي يتضمنها المفهوم من حيث الأهمية هذا المركز هو النقطة التي يبدأ منها تنشيط محتوى المفهوم, وليس بالضرورة نقطة تركيز المعلومات.... ويمكن وصف المفهوم بأنه كتلة من التعليمات الموجهة إلى العمليات الإدراكية والاتصالية. ينظر:(بوجراند، 1998، صفحة 183). ويطلق على المفاهيم الرئيسية التي يجري على ضوئها بناء النصّ **(المفاهيم الأولية)** وتضم هذه المفاهيم أهم العناصر الآتية. ينظر:(بوجراند، 1998، صفحة 203):

أ- الأشياء : أي المكونات المفهومية ذات التكوين الدائم أو الهوية الدائمة.
ب- المواقف: أي أهم الأشياء الموجودة والوضع الحاضر التي تكون عليه.

ت- الأحداث: أي الحالات والوقائع التي تغير الموقف أو تغير حالة في إطار الموقف.
ث- الأعمال: أي الأحداث المتعمدة الوقوع من فاعلها.
وتمثل هذه المفاهيم الأولية نقطة الانطلاق أو مراكز الضبط العادية لبناء عالم النصّ, إنها نقاط توجيه يُقيّم منشئ الإجراء من لدنها العلاقات بالمفاهيم الثانوية. ينظر: (بوجراند، 1998، صفحة 203).

يقدم دي بوجراند في هذا المجال رؤيته في انتاج وبناء النص, وهي فكرة تحتكم إلى العقل الإنساني والمستوى الفكري والادراكي للإنساني, فضلاً عن الأحوال النفسية والاجتماعية المحيطة به, فكل هذه الظروف والأحوال تتظافر من أجل أنتاج النصوص وإبرازها بأفضل صورة من خلال النصوص الكلامية, والكتابية, فضلاً عن النصوص الصورية, إذ يقول في هذا الصدد في أطار ذكر العمليات العقلية التي تساعد في عملية أنتاج النصّ في أول الأمر:

((يميل التنشيط الموسع إلى أن ينتشر إلى خارج المفاهيم الأولية إلا أن يكون المرء مكلفاً بمهمة مثل, فكرفي الأشياء الصفراء والتي تعرفها ..الخ ولست ألقب المفاهيم الأولية في نماذجي... ولكنني ألقب العلاقات التي تربط بينها وبين المفاهيم الثانوية فقط. إن تفصيل المفاهيم الثانوية المستعملة في صياغة النصّ يتوقف من ناحية على أسماء أو عبارات المفاهيم المختارة من لدن منتج النصّ, ومن ناحية أخرى على مطالب الموقف. ونستطيع بضم بعض المفاهيم إلى بعض أن نحصل على مفاهيم أكثر تخصيصاً فكمية المادة يمكن أن تنتج الوزن أو الحجم وكمية الحركة يمكن أن تنتج السرعة وبدء الإدراك العقلي يمكن أن ينتج التجريد وهكذا...)). (بوجراند، 1998، صفحة 203).

ويذكر دي بوجراند بأن هذه العناصر تفاعلاً بين ما هو نحوي وما هو معجمي, وبين ما ينتمي إلى النواحي المفهومية للغة. فالأمر إذاً يتعلق بالمقدار الذي تتسبب عنده الاختيارات النحوية والمعجمية في ايجاد التفضيلات من أجل تنشيط عناصر بعينها من المساحة المفهومية والعلاقية. ويستطيع المرء أن يفرق بين عبارات مثل هو تنهد مفرد الاحتباك وظلّ يتنهد متعدد الاحتباك, أو سار السجين, أو سيروا السجناء (عمل موجه), ولكن المؤكد أن التراكيب التي تحتكم إليها هذه العبارات تنتمي إلى الأحداث, وليس إلى مجرد النحو السطحي. ينظر: (بوجراند، 1998، صفحة 204).

أما **(المفاهيم الثانوية)** فتضم عدة عناصر تتفرع من خلال العناصر الأولية, وتربطها عدة علاقات تتظافر جميعاً من أجل بناء النصّ, وأهم هذه العناصر الثانوية. ينظر:(بوجراند، 1998، صفحة 205):

أ- تحديد الأحداث والأعمال والأشياء والمواقف
- الحال
- المؤثر (الفاعل)
- الشيء المتأثر
- العلاقة
- الصفة
- المكان
- الزمان
- الواسطة
- الصورة
- البعضية

- الجوهر
- الظرفية
- العلة
- التمكين
- الكمية

ب- تحديد التجربة الإنسانية

- السببية
- الغرض
- الوعي الاستبطاني
- إدراك معلومية
- الوجدان
- الإرادة
- الاتصال
- الملكية
- الشكلية

ج- تحديد العموم والخصوص

- المثال
- التحديد
- القسم الأعم
- القسم الأعلى

د- تحديد العلاقات

- البدء
- الانتهاء
- الدخول
- الخروج
- المقاربة
- الاحتمال

هـ- تحديد عوارض الاتصال

- المغزى
- القيمة
- التساوي
- التضاد
- الاشتراك في الإحالة
- التكرار

لذلك يرى دي بوجراند بأن بناء النصّ قائم على هذين المرتكزين من المفاهيم, وهي المفاهيم الأولية والثانوية, وكلا المجموعتين مكملة للأخرى.

أما الكيفية التي يتم بها بناء هذه النماذج فهي كالآتي:

- **بناء نموذج النصّ من خلال التناول الاستقرائي التجريبي:**

فالتناول الاستقرائي الذي يكون من خلال التجربة والملاحظة, وهو يتناول بمعنى الدراسة التدريجية مما هو خاص إلى ما هو عام, أو من شيء أكثر تحديداً إلى آخر أقل تحديداً, فاللسانيات في أولى بناء نظرياتها العلمية بدأت من الأصوات الفردية إلى الفونيمات (طبقات من الأصوات) ومن الفونيمات الفردية إلى فئات الفونيما, ومن المعاني الفردية المتنوعة إلى المعاني العامة أو الأساسية, وفي الأخير من تلك الطبقات إلى فئات المعاني, وهذا هو المنهج الاستقرائي, الذي يعرف بأنه الانتقال من عنصر إلى الطبقة, وليس العكس, إنها حركة تركيب وليست حركة تحليل, وهو منهج تعميم وليس منهج تخصيص. ينظر:(هليمسلاف، 2018، صفحة 21).

- **بناء نموذج النص من خلال التناول الاستنباطي:**

فالاستنباطية كنظام عقلي له عدة أشكال وفعاليات كثيرة, تختلف في طبيعتها ودور كل منها وقيمها, يلجأ إليه العقل البشري في أي لحظة حين يستخرج مضموناً من مضمون آخر, دون أن يلجأ إلى التجريب, كما هو الحال حين ينتقل من القاعدة إلى المضمون, أو الجزء من الكل, والخاص من العام وهكذا. ينظر: (الخولي، 2020، صفحة 60).

((وهو يعرف بأنه العملية التي يستنبط بها شيء من شيء آخر, ومعنى ذلك المرور من حد إلى حد آخر يتلوه أو ينتج عنه مباشرة وبالضرورة)). (ديكارت، 1985، صفحة 140).

ويرى لويس هيلمسلاف بأن الطريقة الوحيدة الممكنة لإنشاء نظرية خاصة للنصّ هو التحليل, الذي يعدُّ النصّ فيه حالة قابلة للتحليل إلى مكونات, وهذه الأجزاء أو المكونات بدورها تعدُّ حالات أو طبقات قابلة للتحليل هي الأخرى إلى مكونات, فالطريقة التي تنتقل من الطبقة إلى المكون, وليس من المكون إلى الطبقة, وكحركة تحليلية, وتخصيصية, وليس كحركة تركيبية, وتعميمية, وكطريقة معاكسة للاستقراء, بالمعنى العام في اللسانيات, إذ يطلق عليها الاستنباط. ينظر:(هليمسلاف، 2018، صفحة 22).

ويرى دي بوجراند بأن المعرفة لا تتضمن أي مسلمة وجودية فطرية, فهو يستخرج فرضاً أولياً لما يجب أن تكون عليه حالة ما, فالناس ينشئون افتراضات باستمرار ثم يختبرونها بالنظر لما سيحدث أو يقال, ويطبقون بذلك دخلاً مختزناً. ينظر:(بوجراند، 1998، صفحة 116). من المعلومات التي تخص حالة ما, ومن ثم يتم المقابلة بين هذه المعلومات الجديدة التي اكتسبوها في موقف معين والمعلومات القديمة التي لها علاقة بهذا الموقف نفس, واختيار الملائم منها.

- **بناء نموذج النصّ من خلال الحل العام للأشكال:**

منهج الحل العام للأشكال هو إطار نظري أو منهجية يعتمد على فهم المبادئ الأساسية؛ لإيجاد الحلول المناسبة لكل الحالات المتنوعة, بدلاً من التعامل مع كل حالة على حدة.

ويرى دي بوجراند بأن أفضل منهج لبناء النصّ هو من خلال الحل العام للإشكال ويمكن تعريف الأشكال بأنه: ((حالة يتسم الانتقال منها إلى التي تليها بشيء من احتمال الفشل, ويمتنع الانتقال عندما تكون هذه الحالة أو التي تليها متسمة بالخطأ, والمتصدي لحل الأشكال يعدُّ مخططاً ينبغي له أن يفتش عن مساحة الإشكال من أجل وصل هذه الحالة بالحالة المقصود أن تتلوها)). (بوجراند، 1998، صفحة 117).

ويقوم هذا المنهج على عدة خطوات:

الأولى: تحديد الباحث نقطة البدء أو حالة الاستهلال, ونقطة النهاية أو حالة الغرض, والثانية: يقوم بالاتساع بالبحث في هذه النقطة سعياً لإيجاد الغرض الفرعي القريب, ثم عند الوصول إلى هذا الغرض تطبق الطرائق نفسها في الوصول إلى غرض فرعي آخر, وتتسم هذه الخطوة بالحذر والقرب من الثبات, وتتطلب الكثير من الوقت ووسائل البحث, وثالثاً: يقوم الباحث بالبدء بالبحث في العمق للوصول إلى الغرض المحدد, ويتسم بحث البدء بالعمق بالمخاطرة, ولكنه مطلوب عند ضيق الوقت أو قلة الطاقة بالنسبة للبحث, وهو بحث كفء عندما يكون الحل واضحاً بالحدس. ينظر: (بوجراند، 1998، صفحة 118).

المبحث الثاني
انتاج النصّ

تُعدُّ مرحلة انتاج النصّ من المراحل المهمة التي عادة ما يتم اهمالها في الدراسات اللغوية, أو لا يسلط عليها الضوء كثيراً لسبب ما, فالظاهرة اللغوية بتعقيداتها المختلفة وتباين انماطها لا يمكن أن تُعدُ على أنها نظام شكلي من القواعد التركيبية , وإنما هي نتاج تداخل, وتفاعل أنظمة متعددة, يؤلف نظام القواعد جزءاً منها. ينظر: (باقر، 2002، صفحة 21).وانتاج النصّ هو فعل إرادي بالغ الاحكام, ولا يمكن أن تنتج نصاً من لا شيء, أو من الفراغ, فالنصّ يتم انتاجه كما يرى الباحث حسين خمري بوساطة النصوص السابقة عليه, أو النصوص المتزامنة معه, أي عبر خلفية ثقافية معينة. ينظر:(خمري، 2007، صفحة 79). وقد ارتبط هذا المصطلح (الانتاجية) بالبلغارية جوليا كريستيفا في مفهومها للنصّ بأنه اعادة توزيع (تفكيك وبناء) للنصّ في اللغة التي يتموقع فيها, إذ تقول في سياق تعريفها للنصّ بأنه : ((جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة بالربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الاخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو الملتزمة معه فالنصّ إذن إنتاجية)). (كريستيفا، 2014، صفحة 21) وينظر: (بوقرة، 2009، صفحة 52). تقترح جوليا كرستيفا صياغة صورية لعلاقات النصّ دون اختزالها في شكله, بل بفتحها على قوانين نوع الانتاجية, فهي ترى بأن نظرية النصّ لها وظيفة انتاجية, فهي بالنسبة لها تسجيل قوانين نمط من الانتاجية, وهذا ما ذهب إليه فان دايك بأن نظرية النصّ لها وظيفة انتاجية, مستمداً ذلك من منهجه التوليدي, فهي توليدية؛ لأنها تولد شكلياً مجموعة غير متناهية من النصوص, انطلاقاً من مجموعة محددة من القواعد. ينظر:(خمري، 2007، صفحة 30). إذ يرى دي بوجراند بأن التحليلات اللغوية يمكن أن تعدُّ نموذجاً لفهم اللغة, وقد حاول وضع نظرية محكمة لإنتاج النصّ وهي تقوم على عدة عمليات تتظافر فيما بينها, سواء كانت عمليات عقلية ذهنية تتعلق باستخدام الأفكار والمفاهيم الخاصة وهي الأساس, أو لغوية تتعلق باختيار المفردات اللغوية المناسبة والمتسلسلة التي تلائم النصّ, أو اجتماعية تتعلق بالسياق الذي ترد فيه هذه النصوص, أو فنية تشمل تركيب النص في جمل وفقرات ومناسبتها للموقف الذي ترد فيه, أو اتصالية تتعلق بالتواصل مع الآخرين, وعليه يجب أن تكون الدراسة وعملية البحث موجهة للبحث عن الطريقة والقدرات التي تجعل الناس في العادة من أصحاب المقدرة على أنتاج النصوص وفهمها بنجاح دائم وإن لم يكن شاملاً. فالنصّ مهما امتاز باستقلاليته فأنه يتشكل, وينبني في فضاء ثقافي, يعد جزءاً من البنية الاجتماعية. ينظر: (خمري، 2007، صفحة 37). ويمكن استخلاص نشأة المفاهيم وتكوينها بالنسبة إلى ثلاث عمليات : الاكتساب, والاختزان, و الاستخدام. ومن المطلوب أن يجري توحيد عرض هذه العمليات. فإذا فرضنا التماسك continuity, والإتاحة والاقتصاد مسلمات إجرائية مقبولة فإن الشبكة الدلالية ستبدو مقبولة أيضاً. ولهذه الشبكات المختلفة استعمالات متنوعة ولكنها جميعاً تتكون من عقد nodes, ووصلات links تشبه الشبكات. ولكن في الوقت نفسه الذي كانت فيه تلك الشبكات مكونة من حالات نحوية نجد هذه

مكونة من حالات معلومية. ينظر: (بوجراند، 1998، صفحة 184).((إن اجراءات اكتساب المعلومات والمعنى واختزانهما واستخدامهما يمكن أن تصور في صورة عمليات بناء العلاقات المفهومية وتنظيمهما وإعادة ترتيبها وتطويرها وتبسيطها وتخصيصها أو تعميمها)). (بوجراند، 1998، صفحة 187) وينظر: (باقر، 2002، صفحة 51).وتجري هذه العمليات طبقاً لعدة مراحل تشمل:

1- الإعداد أو التخطيط: يركز منتج النصّ في هذه المرحلة، على غرض النصّ, أي الهدف المنشود من انتاج النص, ثم يتم بعد ذلك اختيار نوع النصّ, الذي سيتم انتاجه. ينظر:(بوجراند، 1998، صفحة 424).
2- التجريد: يتم تحديد الفكرة الرئيسة أو الموضوع الذي سيتم تناوله في النصّ, فالفكرة المجردة تكوين من التصورات والعلاقات المنشطة تنشيطاً ذاتياً, والتي توجد في أساس السلوك الخالق للمعنى, ومن هذا السلوك أنتاج النصّ. ينظر:(بوجراند، 1998، صفحة 424).
3- مرحلة التطوير: تتضمن هذه المرحلة تنظيم الأفكار وترتيبها بشكل منطقي, وهذه المرحلة مسؤولة عن التنظيم الداخلي المفصل للمفاهيم والعلاقات,.((إن الاقتصاد الإدراكي يفترض أن كل المعلومات من شأنها أن تكون منظمة في اختزانها بوصفها شبكة موحدة .... فالأنماط الكثيرة الاستعمال قد تشكل مداخل ثابتة لمعلومات مستقرة, أما الأنماط الأقل استعمالاً فيجب أن تخضع للتناوب.... ويبدو للعقل الإنساني مختزنات ضخمة مع استحضار بطيء)). (بوجراند، 1998، صفحة 192). وفي هذه المرحلة يتم التوصل إلى مفاهيم جديدة لم تكن موجودة في المخزون الداخلي لدى منتج النصّ, وتعتمد هذه المرحلة بشكل أساسي على المرتكزات الأساسية والثانوية التي سبق الاشارة إليها في المبحث الأول. ينظر:(بوجراند، 1998، صفحة 427). ((إن قضية العموم والخصوص في هذه الأقسام تعد توضيحاً إضافياً للتناوب بين تكدس المخزون وطول المسعى إليه)). (بوجراند، 1998، صفحة 195).
4- مرحلة التعبير بالنصّ: في هذه المرحلة، يتم تحويل الأفكار المخططة إلى نص مكتوب. يتم التركيز على التعبير عن الأفكار بشكل واضح ومنظم. ((وما دام هناك عدد غير ثابت من الأشياء والوقائع صالح للتحويل إلى مفاهيم من أجل الكلام ولو عن الجزء الذي يعرفه المتكلم الفرد عن العالم فإنه لابد أن تكون للناس طرق ناجعة لغرض تنظيم ما يكتسبونه من المعلومات. إن استخدام المفاهيم أي تحويل الدخل المعلومي إلى مفاهيم يجب أن ت\يستلزم استنباط النواحي ذات العلاقة بذلك)). (بوجراند، 1998، صفحة 190).

كل مرحلة من هذه المراحل تعد حيوية لضمان إنتاج نصّ فعال ومؤثر.

نماذج انتاج النصّ:

دي بوجراند يعرض نماذج متعددة لإنتاج النصّ، إذ يسعى إلى تسليط الضوء على كيفية تشكيل هذه النصوص من حيث البنية, والمعنى, والتفاعل مع السياقات الاجتماعية, والثقافية, ومحاولة الوصول إليها من خلال فهمها وتفسيرها, إذ يقول: ((يجب ايجاد تراكيب وشواهد يمكن أن تقبل قبولاً حسناً من حيث هي إجراءات, لا من حيث كونها تصميمات متخذة من مصدر غير معلوم. وينبغي أن ينم الشاهد عن كيف تتبني هذه العناصر المذكورة وكيف تضبط وكيف يتاح الوصول إليها)). (بوجراند، 1998، صفحة 96). **ومن هذه النماذج:**

1. **النموذج النصي:** يتعلق هذا النموذج بكفاءة النصّ في الاستعمال, بوساطة تظافر المعايير النصية التي حدّها دي بوجراند التي هي (السبك, الحبك, السياق, والقصد, والقبول, والتناص, والإعلامية) للوصول إلى الغاية التي انشأ من أجلها النصّ بأفضل النتائج في الاقتصاد في الجهد, ومدى قوة تأثيره ووقعه على مستقبليه, فضلاً عن مدى ترابط مادة النصّ وخطوات خطة بناء النصّ التركيبية المتعلقة بمحتواه المكونة من مجموعة من الخطط مثل العنوان، المقدمة، المحتوى، والخاتمة. ويبرز أهمية كل جزء من النصّ وكيفية تفاعله مع الأجزاء الأخرى لتشكيل المعنى الكلي, والغاية التي انتج لأجلها النصّ. ينظر:(بوجراند، 1998، صفحة 106).

2. **النموذج الخطابي:** يركز هذا النموذج على استعمال اللغة في النصّ, فلابد أن يتم الكشف عن ترابط خطط النصّ؛ ليكون كل مكون نطقي على صلة بالآخر, اثناء عملية الاتصال, مثل النصح, والطلب, والموافقة, أو الابقاء على رابطة اجتماعية ما, فمن خلال هذا النموذج يتم دراسة الأساليب اللغوية, والبلاغية, وكيف يمكن أن تؤثر في النصّ, فأهم ركيزة في هذا النموذج هو الطبيعة التنظيمية لنظم الاتصال فيما بين الأفراد, فالناس في العادة يتواصلون بدون مصاعب, لكن إذا اخفق فرد في استعمال النظم الفرعية للغة كما حددها العرف أصبح من الضروري أن تحدث وقائع تصحيحية, كالشرح , وتصحيح سوء الفهم, واستبعاد القراءات البديلة, وإن أعمال الناس وأقوالهم لا تحكمها قوانين مطلقة القواعد, غير أنه ينبغي للناس أن يعتدوا بتطبيق النظام إذا أرادوا استعماله استعمالا مؤثرا, وكلما علت قيمة النص ازدادت فرصة مداومة استعماله؛ لأن الأحكام والانتقاءات التي كانت عند انتاجه تتسم بحسن التخطيط وهي سمة الأعمال الخالدة. ينظر:(بوجراند، 1998، الصفحات 99- 101).

3- **النموذج السياقي** :من خلال النموذج السياقي الذي يسلط الضوء على أهمية السياق الاجتماعي والثقافي في فهم النص, إذ يشير في هذ الجانب إلى كيفية تأثير الخلفية الثقافية والتاريخية للكاتب والقارئ على بناء وتأويل النص, فدي بوجراند ينظر إلى النصّ على أنه وحدة اتصالية قائمة على طرفي اتصال أو طرف واحد تجمعهم ظروف وأسباب معينة استدعت هذا الاتصال إذ يقول في هذا السياق:

((ينبغي للنصّ أن يتصل بموقف يكون فيه, تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف, وهذه البيئة الشاسعة تسمى سياق الموقف. أما التركيب الداخلي للنصّ فهو سياق البنية))(بوجراند، 1998، صفحة 91). ذلك أن التقاليد والأحوال الاجتماعية تنطبق على النصوص أكثر مما تنطبق على الجمل؛ فالوعي الاجتماعي ينطبق على الوقائع لا على أنظمة القواعد النحوية , فضلاً عن ذلك فاللسانيات المبنية على الاتصال ومن ضمنها اللسانيات النصية ستكشف عن أن قواعد اللغة في جملتها متغيرة طبقاً لمطالب المواقف الجارية, وبدلالات فعاليات النصّ التي تسعى إلى إيجاد تأثيرات خاصة... و يرى بأن العوامل النفسية أوثق علاقة بالنصوص منها بالجمل ... فالنصوص تشير إلى نصوص أخرى بطريقة تختلف عن اقتضاء الجمل لغيرها من الجمل ينظر:(بوجراند، 1998، الصفحات 92- 93).

وعليه يكون الموقف في هذه الحال هو الذي يحدد كم من الوقائع الفعلية يلزم لإيجاد الارتباط ففي المواقف الشديدة التحديد يعمد الناس إلى الاقتصاد بوساطة الحذف أو الاختزال في وقائع البنية التعبيرية السطحية. ينظر:(بوجراند، 1998، صفحة 99).

4- **النموذج الإجرائي:** يتناول هذا النموذج كيف يمكن أن تكون النصوص اجرائية تسودها الديناميكية بوساطة تفاعلها مع القارئ وكيفية تأثير هذه التفاعلات على فهم النص. يشمل ذلك دراسة القبول والقصد لدى السامع والمتكلم, وكيف يمكن أن يؤثر فهم السامع, ومقاصد المتكلم على المعاني المستخرجة من

النصّ, إذ يرى دي بوجراند إلى أنه ((فالنصّ تجل لعمل إنساني ينوي به شخص أن ينتج نصاً ويوجه السامعين به إلى أن يبنوا عليه علاقات من أنواع مختلفة. وهكذا يبدو هذا التوجيه مسبباً لأعمال إجرائية)).(بوجراند، 1998، صفحة 92).

فالنموذج الاتصالي طور نظرية النحو الوظيفي التي تبنتها حلقة براغ بقيادة جاكوبسن وتروبتسكوي التي ترى بأن اللغة ((نسق وظيفي موجه نحو غاية, فالوظيفية بكونها المهمة الموكولة إلى عنصر لساني بنيوي طبقة أو آلية, للوصول إلى هدف في اطار التواصل البشري)) (بافو و رفاتي، 2012، الصفحات 194-202) وينظر (الطائي، 2009، صفحة 105).

5- **النموذج التفسيري:** يتعلق هذا النموذج بكيفية تفسير النصوص من زوايا متعددة، بما في ذلك المعاني الضمنية والمضامين الاجتماعية والسياسية. إذ يساعد هذا النموذج على التحليل النقدي للنصوص وفهمها بشكل أعمق, ذلك ((إن العلاقة بين النصّ وبدائل صوره كشرحه أو تلخيصه أو مخطط تذكره ليست مجرد تجميع كلمات أو مركبات كلمات, بل هي الأنماط الملحوظة لبنية العلاقات المفهومية التحتية)) (بوجراند، 1998، صفحة 187).

هذه النماذج تساعد في تسهيل فهم النصوص واستيعابها بشكل تام, مما يساعد القارئ في البحث عن المعاني المتعددة, والطبقات المختلفة التي يمكن أن تحملها النصوص.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث لا يسعنا أن نذكر أن عالم اللغويات الفرنسي دي بوجراند قدم رؤية هامة, وذات أثر فعال في مجال لسانيات النصّ, فقد طور ما جاء به سابقيه من جعل النصّ هو المادة الأساسية للدراسة بدلاً عن الجملة, فهو حاول ايجاد نظرية موحدة تكون هي بمثابة المرجع في فهم عملية بناء وانتاج النصّ, وفي اطار مسعاه في ذلك قدم رؤيته في بناء وانتاج النصّ, الذي لا يتم بصورة اعتباطية عشوائية, بل عملية منظمة تسبقها خطوات ممنهجة قوامها العقل, ومرتكزاتها السياق والاجراء, فلا بد لنا أن نفرق بين بناء النصّ الذي هو عملية ذهنية تستدعي الافكار المخزنة في الذهن لترتيب تسلسل الأحداث, وصياغة الحلول المناسبة للمواقف التي يواجهها (المتكلم - المستمع), وهذه العمليات قائمة على مرتكزين من المعلومات الأساسية والثانوية, والتي يمكن يتم التوصل إليها من خلال عدة مناهج, وأساليب, وطرائق, منها المنهج الاستنباطي, والمنهج الاستقرائي, أما منهج دي بوجراند الأمثل هو منهج الحل العام للأشكال, أما انتاج النصّ فهو عملية عقلية تسعى إلى ربط الافكار التي تم التوصل إليها اثناء بناء النصّ بالتراكيب التي تلائمها, وهذه العملية قائمة عند دي بوجراند على أربع مراحل, تبدأ بتحديد الغرض من النصّ, أو ما يسمى مرحلة الإعداد, أو التخطيط, ثم التجريد, ثم مرحلة التطوير, ثم تنتهي بمرحلة التعبير, واخراج هذا المخزون الفكري واللغوي بصورته الأخيرة, وقدّم دي بوجراند في هذا المضمار عدة نماذج لانتاج النصّ هي: النموذج النصي, والخطابي, والسياقي, والاتصالي, والتفسيري, فنظرية دي بوجراند المتعلقة ببناء النصّ وانتاجه ما هي إلا صورة من صور تطوير فكرتي الكفاءة والأداء, التي جاء بها تشومسكي, والذي يرى بأن هناك مستويين يحكم بناء الجملة مستوى البنية السطحية الشكلية, ومستوى البنية العميقة المتعلقة بالمعنى الضمني, وهو ما ذهب إليه دي بوجراند في أن نظرية النصّ تحكمها أيضاً فكرتين هما بناء النصّ الذي يتعلق بالعمليات الخارج عن اطار الملاحظة, إذ يتعلق بالعمليات العقلية, وما تحدها من اجراءات مفهومية, وأخرى خارج أطار اللغة, المتعلقة بالسياق, لها تأثيرها الأكبر في عملية التواصل. وانتاج النصّ

الذي يتعلق باختيار التراكيب الملائمة للمواقف والأحداث, ومن ثم تراصفها تركيبياً, وشكلياً, واخراجها بصورتها النصية الأخيرة.

المصادر والمراجع:

- جفري سامسون. (1996). مدارس اللسانيات التسابق والتطور (المجلد 1). (محمد زياد كبة، المترجمون) الرياض، المملكة العربية السعودية: النشر والمطابع - جامعة الملك سعود.
- جوليا كريستيفا. (2014). علم النصّ (المجلد 3). (فريد الزاهي، و عبد الجليل ناظم، المترجمون) الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.
- حاتم علو الطائي. (نيسان, 2009). نشأة علم اللغة واهميتها. دراسات تربوية.
- حافظ إسماعيلي علوي. (2009). اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلة نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- حسين خمري. (2007). نظرية النصّ من بنية المعنى إلى سيميائية الدال (المجلد 1). الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- خليل بن ياسر البطاشي. (2013). الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب (المجلد 1). عمّان، الأردن: دار جرير للنشر والتوزيع.
- روبرت دي بوجراند. (1998). النصّ والخطاب والإجراء (المجلد 1). (تمام حسان، المترجمون) القاهرة: عالم الكتب.
- روبنز. (1978). موجز تاريخ علم اللغة (المجلد 1). (أحمد عوض، المترجمون) الكويت: عالم المعرفة.
- رينيه ديكارت. (1985). مقال عن المنهج (المجلد 3). (محمد الخضيري، و محمد مصطفى حلمي، المترجمون) الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عبد الزهرة عودة جبر. (2025). اللسانيات والعلوم الطبيعية بحث في فلسفة العلم (المجلد 1). بابل، العراق: مؤسسة دالر الصادق الثقافية.
-
- فردينان دي سوسور. (1985). علم اللغة العام (المجلد 3). (يوئيل يوسف عزيز، و مالك يوسف المطلبي، المترجمون) بغداد، العراق: دار آفاق عربية.
- لويس هليمسلاف. (2018). حول مبادئ نظرية اللغة (المجلد 1). (جمال بلعربي، المترجمون) الرباط: دار الأمان.
- مارغوت هاينمان، و فولفغنغ هاينمان. (2006). أسس لسانيات النصّ (المجلد 1). (موفق محمد جواد، المترجمون) بغداد، العراق: دار المأمون للترجمة والنشر.

- ماري آن بافو، و جورج إلياس رفاتي. (2012). النظريات اللسانية الكبرى النحو المقارن إلى الذرائعية (المجلد 1). (محمد الراضي، المترجمون) بيروت، لبنان: المنظمة العربية للترجمة- مركز دراسات الوحدة العربية.
- محمد خطابي. (2006). لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب (المجلد 2). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- محمد غاليم. (2007). النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة مبادئ وتحاليل جديدة (المجلد 1). المغرب: دار توبقال.
- محمد محمد يونس. (2004). مدخل إلى اللسانيات (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- مرتضى جواد باقر. (2002). مقدمة في نظرية القواعد التوليدية (المجلد 1). عمّان: دار الشروق.
- ميشال زكريا. (1986). الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) (المجلد 2). بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- نعمان بوقرة. (2009). المصطلحات الأساسية في لسانيات النصّ (المجلد 1). عمّان، الأردن: جدار للكتاب العالمي.
- نوم تشومسكي. (1993). المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها (المجلد 1). (محمد فتيح، المترجمون) القاهرة: دار الفكر العربي.
- يمنى طريف الخولي. (2020). مفهوم المنهج العلمي (المجلد 1). هاي ستريت وندسور، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.